الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

دراسة حول :

المنهج التاريخي عند طه حسين

من اعداد

*يونس الاشهب

مقدمة

منهج النقد التاريخي يعد واحدا من المناهج النقدية المتعددة التي أسست على قواعد كانت نتاجا لفلسفات وتيارات فكرية عرفتها الإنسانية عبر مسيرتها الطويلة، ترجع في ماضيها إلى أفلاطون وأرسطو اللذين شغلت فلسفتهما التفكير الإنساني لدى الغرب، وتبلورها في مطلع القرن التاسع عشر عن طريق أبرز المفكرين الغرب الأوائل أمثال: (سانت بيف)، و(تين)، و(برونتير).

وفي إطار التبادل الحضاري صار المنهج يحمل سمات التفاعل بين الأدبين العربي والغربي، بوصفه يمثل بواكير هذا التفاعل لدى المفكرين العرب الذين تلقوه وتبنوه مثل: (طه حسين) وغيره.

والباحث في هذا السياق العلمي لا يهدف إلى شيء سوى تتبع بدايات الأثر الفكري للإنسانية وعما اكتسبته من تجارب فيما يتعلق بأزمة دارسة النص الأدبي لدى الغرب أولا ثم وعي ذلك لدى العرب، والكشف عما يتمتع به المنهج العلمي التاريخي من اهتمام تجاه البعد التاريخي (الحضاري)، أو البعد المنهجي ومدى مطابقته لدارسة النص العربي على وجه الخصوص لدى طه حسين أبرز المنظرين له عربيا.

وقد سعت هذه الدراسة الى كيفية ظهور المنهج التاريخي ومن هم متبنين هذا المنهج سوى المجتمع الغربي او العربي وما هي اهمية هذ المنهج مع كيفية تطبيقه بنسبة للاديب طه حسين

تمهيد

منذ وجدت المدارس الأدبية والفنية، وتأسس النقد الحديث، ظهرت المناهج الأدبية في الدرس والتحليل، وكان أول هذه المناهج المنهج التاريخي الذي اشتغل عليه خلق كثير من الأدباء والنقاد .

نشاة النقد التاريخي

والمنهج التاريخي من المناهج الخارجية في الأدب يعطي مساحة كبيرة في الدراسة الأدبية للجانب التاريخي، إن هذا المنهج يكاد يطغى على كثير من الدراسات الأدبية التي درست الشعراء والمبدعين، فلا نكاد نقرأ كتاباً في التحليل الأدبي إلا وجدنا صفحات كثيرة كتبت عن تاريخ حياة الشاعر وأسرته وأولاده وعن كل المؤثرات الخارجية التي أثرت في شعره وأدبه، مثل الثقافة والبيئة

ويُعتبر منهج النقد التاريخي واحدًا من المناهج النقدية المتعددة التي انبنت على قواعد متينة، هي في حد ذاتها نتاج لفلسفات، وتيارات فكرية عرفتها الإنسانية عبر سيرتها الطويلة، ولعل ما توخاه أفلاطون وأرسطو من فلسفات معينة شغلت التفكير الإنساني هي تمثل الملامح الجذرية الأولى لهذه الفلسفات.

فقد ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فسمي بالمنهج التاريخي، أو كما يسميه شكري فيصل في كتابه (مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي) لأن هذا المنهج كان يُدرس في المدارس الثانوية والجامعات في أوربا

عوامل ظهور المنهج التاريخي

1. دعوة تقول أن الأدب تعبيرٌ عن الإنسان بكل أبعاد

2/لاحظوا أن الأدب ينمو ويتطور بمرور الزمن.

3/أن النقد التأثري كان سائدًا وسيطر على الأجواء النقدية، فحاولوا تخليص الساحة النقدية من هذا، بأن يتوسعوا بالبحث عن نقد عقلي.

تعريف المنهج التاريخي

أ - المنهج لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور تعريفه للمنهج، أن المنهج والمنهاج :هو الطريق

الواضح، والمنهج بتسكين الهاء هو الطريق السليم، وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجا بيناواضحا

ب - المنهج اصطلاحا :

فهو بوجه عام" :وسيلة محددة توصل إلى غاية...

ويراد بمناهج البحث" :الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض [2]

أما التاريخ في الإصطلاح فقد عرفه ابن خلدون في كتابه "المقدمة" فقال: "أعلم أن فن التاريخ عزيز المذهب، جم الفائدة، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من

الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرتهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرون في أحوال الدين و الدنيا [3]

المنهج التاريخي:

مفهومه:

منهج يقوم على استرداد وقائع وأحداث الماضي، ووصفها وتسجيلها وتحليلها

وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة، بقصد التوصل إلى حقائق و تعميمات لا

تساعدنا في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وهذا هو المنهج التاريخي

يتعامل المنهج التاريخي مع الأدب من الخارج، إذ يسعى إلى بلورة العلاقات

الموجودة بين الأعمال الأدبية في إطار تاريخي زمني ويحاول الباحث الأدبي وفق هذا المنهج رصد بشكل من الأشكال الأسباب المستترة والعلل الكامنة وراء الوقائع الأدبية، وهو ينظر إلى النص الأدبي بعده وثيقة تحليل إلى منتجها ويحتاج بذلك إلى ثقافة واعية تسهل عليه تتبع حركة الزمان بمعطياته الكثيرة المنعكسة بصفة مباشرة أو غير مباشرة على النص الأدبي.

كما استطاع النقاد أن يطبقوا هذا المنهج على دراسة شخصيات أدبية وتتبعها، واستقصوا مظاهر حياتهم العقلية والمادية والأخلاقية، كما درسوا الظواهر الأدبية في بعض العصور الأدبية متتبعين حركة هذه الظاهرة ومواكبتها لهذا العصر.

أهمية المنهج التاريخي

يقدم المنهج التاريخي جهودا مضنية في سبيل تقديم المادة الأدبية الخام، أما دراسة

هذه المادة في ذاتها فإنها أوسع من أن يستوعبها مثل هذا القالب المنهجي الضيق ولقد اختلف النقاد والدارسون في أهمية هذا المنهج في دراسة الأدب وتحليله وفهمه ما بين متحمس له ومتحفظ عليه ورافض له مثلما يحدث دائما مع بقية المناهج. فلقد اعترف النقاد بهذا المنهج النقدي لما له وظيفة ودور مهم في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها، لكنه يأخذ عليه مآخذ، فهذا المنهج لا يستقل بنفسه فلا بد فيه من قسط من

المنهج الفني فالتذوق و الحكم و دراسة الخصائص الفنية ضرورية في كل مرحلة

من مراحله، فحكمنا الفني على نص أو على أديب إنما هو حكم واحد من أحكام كثيرة سجلها التاريخ، حكم له ظروفه الحاضرة وله مؤثراته و أسبابه الكامنة في ذوقنا و ذوق العصر الذي نعيش فيه.

اهم اعلام واصحاب المنهج التاريخي

1/عند الغرب

أ- هيبوليت تين (1823 -1893): "فيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الشهير

الذي درس النصوص الأدبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة:

-العرق أو الجنس

ويقصد به مجموع الإستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد وهذه الإستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي.

- البيئة

ويقصد به العامل المؤثر في أدب أي أمة والمكان الذي ينشأ فيه أفراده وتأثيره الإجتماعي في النص الأدبي

- العصر أو الزمان

وهو الأحداث السياسية والإجتماعية التي تكون طابعا عاما يترك أثره على الأدب 4

ب – سانتاييف : يعتبر هذا الناقد الفرنسي من أساتذة (هيبوليت تين) والذي ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا فاعتبرالعمل الأدبي وثيقة تدل على صاحبها (كما تكون الشجرة يكون ثمارها)

ج- د- غوستاف لانسون

وهو الرائد الاكبر للمنهج التاريخي في النقد، حيث قدم سنة (1909 م) محاضرة في جامعة بروكسل حول الروح العلمية (منهج تاريخ أدب)، أعلن فيها هذه الهوية المنهجية الجديدة: "دراستنا تاريخية، ومنهجنا سيكون إذن منهج التاريخ 5

ومراحل الدراسة النقدية لدى "لانسون" كالأتي:

- "إعداد النص الأصلي.

- تاريخ النص وتاريخ مختلف أجزائه.

- مقابلة النسخ وتحليل المتغيرات.

- البحث عن الدلالة الأولية (المعنى الحرفي للنص) وكذا الدلالات المنزاحة عنه (المعنى الأدبي للنص).

- تحليل الخلفية والفلسفية التاريخية للنص في علاقته مع مؤلفه وعصره.

- دراسة المراجع والمصادر.

- وكذلك نجاح العمل الأدبي وتأثيره.

2/عند العرب

أما النقد العربي الحديث فقد ساير اتجاه النقد التاريخي، وبذلك يمكن أن تكون نهايات الربع الأول من القرن العشرين تاريخا لبدايات الممارسة النقدية التاريخية على يد نقاد تتلمذوا على رموز المدرسة الفرنسية يتزعمهم الدكتور"أحمد ضيف" (1880-1945)الذي يمكن عده أول متخرج عربي في مدرسة لانسون الفرنسية فهو أول أستاذ للأدب العربي أوفدته الجامعة المصرية الأهلية للحصول على

. الدكتوراه من جامعة باريس، وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس"[6] حيث ظهرت أثار هذا المنهج في عدد من كتبه

ومحمد مندور (1907-1965) يمكن عده "الجسر التاريخي" المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي، حين أصدر كتابه (النقد المنهجي عند العرب) مترجما لمقالة لانسون الشهيرة (منهج البحث في الأدب).

اضافة إلى طه حسين ودراساته ككتابه (مع المتنبي)، (ذكرى أبي علاء) (حديث الأربعاء)،على درجة متفاوتة من الإفادة و التمثيل .

ترجمة للاديب والناقد طه حسين

هو عميد الأدب العربي، وأديبٌ وناقدٌ مصريُ الجنسية، واسمه طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ألف وثمانمائة وتسعة وثمانين، وله الأثر العظيم في الحركة العربية الأدبية الحديثة؛ حيث أضفى لَمساته على الرّواية العربية، فتمكّن من تغييرها. كان مُبدعاً في مجال كتابة السّيرة الذّاتية، ومن أشهر كُتُبه في هذا المجال كتابُ "الأيام" الذي تمَّ نَشرُهُ في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعة وعشرين، لِيتناول حياته الشّخصية وجوانبها، مُنذ الطّفولة وحتى لَحظة كتابة

السّيرة توفي سنة 1972م

نشأ طه حسين في مَسقط رأسه، في إحدى القرى التّابعة للصّعيد الأوسط المصري، وكان الوَلَد السّابع لأبيه، وأصيب بالرَّمد في سنِّ الرَّابعة، مما أدى إلى إصابته بالعمى تماماً، وأرسله والده إلى الكُتّاب في القرية؛ لِيتعلم القرآن الكريم، والحساب،

واللّغة العربية على يد الشّيخ محمد جاد الرَّب، وتَمكّن بذكائه الخارق من حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب خلال فترةٍ وَجيزة، الأمر الذي أصاب أساتذته بالذهول. انتقل طه حسين مع حلول عام ألفٍ وتسعمائةٍ واثنين ميلادي إلى الأزهر؛ لِيُكمل تعليمه في مجالِ الدّراسة الدينية، وتغذية ثقافته في العلوم العربية، وتمكّن من إتمام دراسته، ونيل شهادةٍ فتحت أمامه الطَّريق لِدخول الجامعة، ولكنّه عانى كثيراً خلال دراسته؛ نظراً لِكون المناهج رتيبة، وعقيمة، إضافةً إلى قِدَمِ أساليب التدريس.

التحق بعد ذلك بمونيليه في فرنسا والتي كانت الجامعة المصرية قد ارسلته إليها لِيواصل دراستَهُ في مجالِ تخصُّصه والتَّعمق فيه، وأكمل دراسته باللّغة الفرنسية وآدابها، وعلم النّفس، والتّاريخ الحديث، وكان ذلك في عامٍ كاملٍ، وعاد بعدها إلى مصر، فأثار مَشاكلَ ونِقاشاتٍ حول فروقات التَّدريس في الأزهر والجامعات الغربية

وحث على استخدم أسلوبَ الكتابة الواضحة، والمفردات والتراكيب السَّهلة، مع الحِفاظ على قواعد اللّغة العربية ومُفرداتها السّليمة، وثارت حولَهُ موجةٌ من الانتقادات والاتهامات، إلّا أنّه لم يَلق لَها بالاً، وواصل حَثَّهُ في التَّجديد والتَّحديث،

ومن اهم مؤلفاته

الأيام (سيرته الذاتية).

- مرآةُ الإسلام.
- جنَّةُ الشّوك
- حديثُ الأربعاء

- مع أبي العلاء في سجنه
- في تجديدِ ذكرى أبي العلاء

ففي الكتاب الأخير: طبق طه حسين المنهج التاريخي تطبيقًا دقيقًا، فقد خصص بابًا من هذا الكتاب شغل حيزًا كبيرًا من الكتاب (نحو ثلثي الكتاب) درس فيه زمان أبي العلاء، ومكانه وشعبه والحياة السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والدينية في عصره، وقبيلته وأسرته؛ ليرى أثر ذلك كله في شعره وأدبه، ونقتطف هنا جزءًا

يسيرا من هذا المنهج في قوله:

"ليس الغرض من هذا الكتاب أن نصف حياة أبي العلاء وحده وإنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره فلم يكن لحكيم المعرة أن ينفرد بإظهار آثاره

المادية أو المعنوية وإنما الرجل وما له من أثار وأطوار نتيجة لازمة، وثمرة ناضجة لطائفة من العلل. اشتركت في تأليف مزاجه وتصوير نفسه. من غير أن يكون له عليه من سلطان. من هذه العلل المادي والمعنوي فالمادية ما ليس للإنسان صلة بها، فاعتدال الجو وصفاؤه ورقة الماء وعذوبتها، وخصوبة الأرض وجمال الربى، ونقاء الشمس وبهاؤها. كل هذه علل مادية تشترك مع غيرها في تكوين الرجل وتنشئ نفسه.

وأبو العلاء.. ثمرة من ثمرات عصره. قد عمل في إنضاجها الزمان، والمكان والحال السياسية والاجتماعية والحال الاقتصادية... فالمؤرخ الذي لا يؤمن بالمذاهب الحديثة. ولا يصطنع في البحث طرائفه الطريفة. ولا يرضى أن يعترف بما بين أجزاء العالم من الاتصال المحتوم. ولا أن يسلم بأن الشيء الواحد على صغره وضآلته إنما هو الصورة لما أوجده من العلل".

الخاتمة

مما سبق يمكن الوقوف على نتيجة أولى من نتائج البحث وهي أن المنهج التاريخي

": يقوم على دارسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، ويتخذ منها وسيلة أو طريق ا لفهم الأدب، وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه، وغوامضه، لأ ن اتباع هذا المنهج -كما راينا- يؤمنون بأ ن الأديب ابن بيئته وزمانه والأدب نتاج ظروف سياسية واجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها، ويهتم المنهج التاريخي أساسا بدارسة العوامل المؤثرة في الأدب، وأن السياق التاريخي ضروري لفهم الأدب وتفسيره،لذا "لا يكون الأديب (المبدع) عبقريا لو تقدم عصره أو تأخر عنه ما دامت عوامل البيئة قد وجهته، وأفرزته إلى هذه الوجهة

المصادر والمراجع

- الوافي لعلي عبد الواحد
- مقدمة ابن خلدون تحقيق -احمد طاهر-
- الادب المقارن لغنيمي هلال
- اللانسونية وابرز اعلامها في النقد العربي الحديث لعبد المجيد حنون
- مناهج النقد الادبي ليوسف وغليسي
- تجديد ذكرى ابي العلاء لطه حسين الطبعة السادسة
- مناهج النقد الادبي الحديث لدكتور وليد قصاب
- فصول في النقد والادب عبد الرحمن ابو عوف